العرب
الجمعة 2021/08/20
السنة 44 العدد 12154

# انتصار طالبان ليس نهاية القصة الأفغانية

## سيناريو التقسيم يلاحق أفغانستان والأفغان لا يثقون بالحركة المتشددة

درب التشدد لا يتوقف

لا يبدو أن سيناريو التقسيم بعيد عن أفغانستان على الرغم من محاولة حركة طالبان المتشددة الإيحاء بأنها "تحكم البلاد بلا مقاومة"، لكن التفاعلات الإقليمية والدولية مع الأزمة الحالية قد تبقي الباب مفتوحا مجددا لبداية مرحلة جديدة من الحرب الأهلية في البلاد.

كابول - ما كان يخشاه الجميع في أفغانستان قبل أسابيع قليلة، بات اليوم حقيقة بعد أن وقعت البلاد أسيرة تحت حكم حركة طالبان المتشددة وسط حالة من الغموض تسيطر على الوضع الأفغاني بصفة عامة.

وعلى الرغم من محاولات الحركة الترويج لخطاب "الاعتدال"، وأنها "تغيرت" إلا أن سجلها الدموي القديم والجديد لا يمكن محوه أمام ما تعيشه المدن الأفغانية.

يحتفظ الأفغان ولاسيما النساء والأقليات الدينية بذكرى نظام متطرف فرضته طالبان لدى توليها السلطة في أفغانستان بين عامي 1996 و2001، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الضحايا جراء تمردها الدامي في العقدين التاليين.

ولا ينظر إلى التطورات في المشهد الأفغاني على أنها تنحصر فقط في سيطرة طالبان على مفاصل الدولة وفرض رؤيتها المتشددة، لكن الأمر أبعد من ذلك بكثير خاصة مع وجود سيناريوهات لتقسيم البلاد نفسها بسبب التفاعلات الإقليمية والتدخلات من دول الجوار الأفغاني.

### فصل دموي

يقول مايكل روبين، المتخصص في شؤون الشرق الأوسط في تقرير نشرته مجلة "ناشيونال إنترست" الأميركية، إن "طالبان قد تعلن انتصارها اليوم، لكنها بالنسبة إلى أفغانستان لا تمثل نهاية القتال أكثر من كونها فصلا في تاريخ دموي".

ويضيف روبين "استعدوا للمرحلة التالية في الحرب الأهلية الأفغانية".

ويوضح أن انتصار طالبان ليس نهاية القصة. وقال إن "شعور الحركة بالزهو من هذا الانتصار ليس مقياسا لشعبيتها قدر كونه نتيجة لدعمها من جانب باكستان، فنادرا ما يقاتل الأفغان حتى الموت، بل يجنحون بدلا من ذلك إلى الجانب الأقوى".

ويرى الكاتب الأميركي أن إظهار الرئيس جو بايدن للضعف والقسوة في آن واحد كانت عبارة عن هدية لقادة طالبان الذين يسعون إلى إقناع حكام الولايات عن السلطة مقابل النجاة بأرواحهم.

مايكل روبين

استعدوا للمرحلة التالية من الحرب الأهلية الأفغانية

ولم تتوان باكستان وإيران وروسيا والصين وتركيا وغيرها من البلدان المجاورة وغير المجاورة من التدخل في الشأن الأفغاني لما له من تأثير مباشر سواء في قضية اللجوء وفرار الأفغان من جحيم طالبان، أو محاولة لفرملة التهديدات الأمنية والإرهابية المحتملة من سيطرة الحركة المتشددة على مقاليد الحكم في البلد الغارق في الفوضى.

ويوضح روبين أنه زار الإمارة الإسلامية لطالبان في مارس العام 2000، حيث كانت طالبان تسيطر على 90 في المئة من البلاد. وقال "قدت السيارة عبر ممر خيبر من بيشاور الباكستانية، ثم زرت جلال أباد وكابول وغزنة وقندهار. وفي كل مدينة، قال الأفغان إن الأمن الذي وعدت به طالبان عندما وصلت الحركة في البداية اختفى بسرعة عندما بدأت طالبان نفسها تفترس الشعب".

> تناقض تام بين ممارسات حركة طالبان المتشددة على الأرض وما تقوله في المؤتمرات الصحافية

### سيناريوهات محتملة

يرى الباحث مايكل روبين أن "كل دولة من الدول المجاورة لأفغانستان باستثناء باكستان تخشى طالبان"، حيث يتوقع أن يرعى كل منها خلال الأسابيع القليلة القادمة الميليشيات وأمراء الحرب الذين سيحاولون الاستيلاء على الأراضي على طول الحدود لتكون بمثابة حاجز. ومن المؤكد أن روسيا ستساعد الجمهوريات السوفييتية السابقة المتاخمة لأفغانستان، لأن روسيا تخشى التطرف بين سكانها المسلمين المتزايدين.

ويتوقع أن طالبان التي اعتمدت على الزخم أكثر من براعتها العسكرية، قد تفقد قريبا بعض الولايات الطرفية. فولاية هيرات على سبيل المثال، فارسية الثقافة، وفي الواقع، كانت جزءا من إيران. وإذا بذلت إيران جهودا متضافرة لوضع أحد من يعملون بالوكالة لحسابها في السلطة هناك، فمن المرجح أن تنجح. كما يمكنها تأكيد سيطرتها على فراه ونيمروز، وهما ولايتان تتقاسمان معها حدودا. وينطبق الشيء نفسه على منطقة بدخشان في شمال شرق أفغانستان المتاخمة لطاجيكستان.

كما يرى أن "نشاط الدول المجاورة لأفغانستان ورعايتها لوكلاء جدد، قد يستغرق عاما أو عامين من القتال منخفض الشدة مع طالبان قبل أن تؤسس مناطق نفوذها الخاصة وتقسم أفغانستان مرة أخرى كما كانت خلال فترة الحرب الأهلية في التسعينات".

وظهر على السطح فور استيلاء حركة طالبان على كابول بوادر وجود مقاومة مختلفة للحركة المتشددة وتهديدات مباشرة لحكمها، وهذا الأمر قد يبقي الصراع مفتوحا على كافة الاحتمالات خاصة مع التعدد العرقي والقبلي الموجود في البلاد، وأن هناك من المسؤولين في الحكومة السابقة لم يقبل بالهزيمة الأخيرة وانتصار طالبان.

### الثقة الغائبة

تبقى معضلة أساسية في طريق طالبان لتثبيت حكمها على خلاف بروز ميليشيات وجماعات رافضة لهذا الحكم، وهو عدم الثقة المطلقة بالحركة من قبل الأفغان أنفسهم لما عانوه طوال السنوات الماضية من جرائم الحركة نفسها. ولا تزال ذكرى الفظائع التي ارتكبتها الحركة استنادا إلى تفسيرها الصارم جدا للشريعة الإسلامية شاخصة في الأذهان.

ومنعت حركة طالبان كل وسائل الترفيه من موسيقى وتلفزيون وعمدت إلى قطع يد السارق وإعدام القتلة في الساحات العامة، ومنعت النساء من العمل والفتيات من متابعة الدراسة، فيما كانت اللواتي يتهمن بالزنا يتعرضن للجلد والرجم حتى الموت.

ونددت الأسرة الدولية برمتها بإقدام مقاتلي الحركة على قتل مدنيين لاسيما من الشيعة الذين بقوا هدفا رئيسيا لاعتداءات الحركة حتى بعد العام 2001.

وعلى غرار ما فعلت هذا الأسبوع، كانت حركة طالبان قد وعدت بعفو عام لدى دخولها كابول العام 1996. وقال يومها مؤسس الحركة الملا عمر لسكان العاصمة، "نحن لا نؤمن بأي شكل من أشكال الانتقام". لكن بعد يومين على ذلك أعدمت الحركة الرئيس السابق نجيب الله وعلقت جثته على عمود إنارة.

وفيما يحاول مسؤولو طالبان الذين يطلون على الإعلام إظهار وجه معتدل، يتهم مقاتلوهم في بعض مناطق البلاد بمواصلة تعقب الصحافيين ومنع النساء من دخول الجامعات.

وفي كابول خربت ملصقات تظهر نساء على واجهات متاجر. وفي المناطق الريفية والمدن الأصغر يعامل المقاتلون السكان بوحشية.

وتقول باشتانا دزوراني التي تدير منظمة غير حكومية تعنى بتعليم النساء في قندهار (جنوب) في مقابلة مع محطة "تشانيل 4" البريطانية "باتوا أفضل في العلاقات العامة الآن (..) فهم يتكلمون الإنجليزية ويتوجهون إلى وسائل الإعلام الدولية".

وتضيف "ما يقولونه في المؤتمرات الصحافية وما يقومون به على الأرض.. أمران مختلفان".

وعلى الرغم من الحملة المستمرة منذ أشهر لاستمالة الأسرة الدولية وطمأنة الأفغان، لم تنجح الحركة حتى الآن في مسعاها. وحاول عشرات آلاف من الأفغان المذعورين الفرار من البلاد منذ الأحد الماضي وتهافتوا على مطار كابول في مشاهد من اليأس المطلق.

وتتجنب النساء الخروج إلى الشوارع، فيما يخشى الصحافيون والأشخاص الذين عملوا لمنظمات دولية وتعذر عليهم المغادرة، احتمال أن يقعوا ضحية عمليات انتقامية.

وبدرت عن الصين وروسيا وتركيا وإيران مؤشرات انفتاح على حركة طالبان، لكن أحدا لم يعترف بها حتى الآن.

وحذر رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون من أن العالم سيحكم على حركة طالبان "من خلال الأفعال وليس الأقوال" وهو موقف يتشاركه مع ألمانيا والولايات المتحدة وفرنسا.

# ثروة متروكة من المعادن الثمينة بيد طالبان

## أفغانستان تختزن إمكانيات هائلة من النحاس والليثيوم والأتربة النادرة

لا يتوقع الخبراء أن تصبح أفغانستان مصدرا مهما للثروات المعدنية على المستوى العالمي في الوقت القريب بسبب عدم الاستقرار وغموض مستقبلها السياسي في ظل نظام طالبان الذي عاد من جديد لحكم البلد الغارق في الفوضى.

باريس - ينظر إلى أفغانستان على أنها تضم ثروة طبيعية هائلة من المعادن الثمينة ستكون تحت أقدام مقاتلي حركة طالبان الذين سيطروا على البلاد بعد الانسحاب الأميركي وإنهاء أطول حرب خارجية للولايات المتحدة استمرت نحو 20 عاما.

وتعد ثروة المعادن الثمينة التي تبحث عنها الدول أساسية وضرورية في ظل المساعي للاستغناء عن الوقود الأحفوري مثل النفط والغاز، حيث يزداد الطلب على هذه المعادن لنقل أو تخزين الكهرباء.

ولا يتوقع أن تتمكن طالبان على المدى القصير من الاستفادة من تلك الثروة الهائلة في ظل حالة الفوضى التي تعيشها البلاد بعد سقوط حكومة كابول في الخامس عشر من أغسطس الجاري.

وتنظر البلدان المنافسة للولايات المتحدة إلى الثروة المتروكة في أفغانستان على أنها فرصة ثمينة يجب استغلالها، لكن الاستفادة منها تتطلب سنوات طويلة من العمل للحصول على تلك الثروة خاصة في وضع أفغاني لا يبدو أنه يسير نحو الاستقرار.

يحتوي باطن الأرض في أفغانستان على النحاس والليثيوم والأتربة النادرة، وهي معادن ضرورية لتحقيق الانتقال إلى الطاقة النظيفة وحماية المناخ ويصفها الخبراء بأنها ثروة واعدة صارت اليوم في أيدي طالبان.

ويقول المعهد الأميركي للدراسات الجيولوجية، في أحدث تقرير سنوي عن موارد التعدين صدر بداية هذا العام، إن أفغانستان "لديها مناجم من البوكسيت والنحاس والحديد والليثيوم والأتربة النادرة".

وتقدر وكالة الطاقة الدولية أن الطلب العالمي على الليثيوم سيتضاعف بمقدار أربعين مرة بحلول العام 2040.

ويرى غيوم بيترون، وهو صحافي ومتخصص في الجغرافيا السياسية ومؤلف كتاب "حرب المعادن النادرة" في 2018، أن أفغانستان "تعوم فوق مخزون هائل من الليثيوم لم يتم استغلاله حتى الآن".

ويعد الليثيوم موردا أساسيا لانتقال الطاقة، إذ يُستخدم لتخزين الكهرباء في البطاريات ومنشآت توليد الطاقة الشمسية ومزارع الرياح.

كما أدرج الليثيوم في العام الماضي على القائمة الرسمية المكونة من 30 مادة خام تعد "حاسمة" لتحقيق الاتحاد الأوروبي الاستقلالية في مجال الطاقة، إلى جانب الكوبالت والغرافيت والسيليكون والتنتالوم على وجه الخصوص.

وبالمثل تعد الأتربة النادرة مثل النيوديميوم أو البراسيوديميوم أو الديسبروسيوم الموجودة أيضًا في أفغانستان ضرورية في تصنيع المغناطيس المستخدم في صناعات المستقبل مثل طاقة الرياح والسيارات الكهربائية.

وفي الإجمال، قدرت إمكانات جميع الموارد الجوفية في أفغانستان بنحو تريليون دولار في تقرير مشترك للأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي يعود إلى عام 2013.

كانت أفغانستان التي تعد ثرواتها الباطنية هائلة تُعرف حتى الآن بشكل أساسي بغناها بالأحجار الكريمة مثل اللازورد والزمرد والياقوت والتورمالين وكذلك بمسحوق التلك أو الرخام. كما أنها تنتج الفحم والمعادن التقليدية مثل الحديد.

وفي حين يجري استغلال مناجم الأحجار الكريمة رسميًا، تشكل تجارتها هدفًا للتهريب غير القانوني على نطاق واسع إلى حد ما مع باكستان المجاورة، وهو ما كشف عنه أحدث تقرير لهيئة المسح الجيولوجي الأميركية.

غيوم بيترون

أفغانستان تعوم فوق مخزون هائل من الليثيوم غير مستغل

وحتى قبل انتصار طالبان في أفغانستان، قال بيترون إن الصين "دعمت عددًا من فصائل طالبان بهدف تسهيل وصولها إلى بعض المناجم الواعدة"، علمًا أن الصين تنتج 40 في المئة من النحاس في العالم وما يقرب من 60 في المئة من الليثيوم وأكثر من 80 في المئة من الأتربة النادرة، وفق الوكالة الدولية للطاقة.

وأضاف أن "الصينيين لا يشترطون في عقودهم التجارية الالتزام بالمبادئ الديمقراطية".

وحصلت الصين في العام 2008 على امتياز استغلال منجم أينك العملاق للنحاس على بعد 35 كيلومترًا من كابول. ومنذ العام 2015، كانت بكين تتفاوض مع الحكومة السابقة لإدخال تعديلات تسمح بالاستغلال الفعلي للمعدن الذي كانت "تعيقه أسباب مختلفة"، وفقًا لمعهد الدراسات الجيولوجية الأميركي الذي لم يوضح بالتفصيل تلك المعوقات.

وفي الوقت الراهن، يجادل الخبراء بأنه "ليس من المؤكد على الإطلاق" أن تصبح أفغانستان مصدرًا مهمًا لهذه الثروات المعدنية والمضمار الجيوسياسي لانتقال الطاقة العالمي، بسبب عدم الاستقرار وغموض مستقبلها السياسي في ظل نظام طالبان.

لذلك، أكد بيترون "نحتاج إلى مناخ سياسي مستقر تمامًا"، موضحا أنه في مجال التعدين، يمكن أن تمر 10 أو 20 عامًا بين اكتشاف المناجم واستغلالها و"لن ترغب أي شركة في الاستثمار إذا لم يكن هناك إطار سياسي وقانوني مستقر".

وأكد أن بعض المستثمرين قد يفضلون اختيار مصادر توريد "أغلى قليلاً، لكنها أكثر استقرارًا".

ثروة تحت الأرض